﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ [الحجر 36 - 38]

مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

حكمة الله اقتضت ابتلاء العباد واختبارهم، فحكم على إبليس بالإمهالِ

لمّا أمرَ اللّه تعالى إبليس بالخروجِ من الجنَّة، وحكم عليه بالطَّرد وباللَّعنة إلى يومِ الدين؛ سأل اللّهَ الإنظارَ إلى يوم بعْثِ الخلائق؛ ليتمكَّن من إغواءِ ما يقدرُ عليه منهم، فلمّا كان غرضُه ألّا يموتَ؛ لأنَّه بعدَ قيامِ القيامةِ لا يموتُ أحدٌ؛ قطع اللّه تعالى عليه ما دبَّجَ من المكر، ومنعه من مطلوبه، فقال ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾.

وأيضًا لمّا أمكن تأخير العقوبةِ مع الموتِ كسائر من أُخِّرت عقوباتُهم إلى الآخرة من الكفرة؛ طلبَ اللَّعينُ تأخيرَ موتِه، ولأنَّ حكمةَ اللّهِ في خلقِه مقتضيةٌ ابتلاءَ العبادِ واختبارَهم ليستبينَ المطيعُ ربَّه والمطيعُ عدوَّه؛ جاءت هذه الآياتُ بعدَ الأمرِ بالخروجِ من مواضع الفضل وطردِه منها[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾: أصلُ النَّظَرِ: تَأمُّلُ الشَّيءِ وَمُعايَنَتُه، والنَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدراكِ الشَّيءِ ورؤيَتِه، وقد يُرادُ به التَّأمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ، فَيُقالُ: نَظَرْتُ إلى الشَّيءِ، أَنْظُرُ إليه؛ إذا عايَنْته، ويَقولونَ: نَظَرْتُهُ، أي: انْتَظَرْتُه. وسُمِّيَ الإمْهالُ إنْظارًا؛ لأنَّهُ يَنْظُرُ إلى الوَقْتِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ[2]. وَضِدُّهُ: التَّعْجِيلُ. ويأتي الإنْظارُ بِمَعْنَى: التَّأْخِيرِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/141، والبقاعي، نظم الدرر: 1/57.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).

والتَّأْجِيل؛ لقوله: ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾ [الأعراف: 14]. قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: 29][1]. والمقصود بالإنظار في الآية: الإمهالُ والتَّأخِيرُ والتَّأْجِيلُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سؤال إبليس تأخيرَ عذابه؛ زيادةٌ في بلائه ويأسٌ من السَّلامة

لـمّا تلقَّى إبليسُ هذا الجزاء؛ طلَبَ الإمهالَ إلى يوم البعث من القُبور، فقال: ربِّ فإذا أخرَجْتَني من مواطن الكرامة، ولعَنْتَني، فأمهِلْني وأخِّرْني، ولا تُهلِكْني إلى أن تبعَثَ خلْقَك يومَ القيامةِ؛ وأرادَ بذلك أنْ يجدَ فُسحةً لإغواء عِباد اللّه، ويأخذَ منهم ثأرَه، وينجوَ مِن الموتِ؛ لاستحالتِه بعدَ يوم البعثِ[2]، ولقد أجابَ اللّهُ دُعاءَ إبليس في الظاهر، لكنْ كان ذلك في الحقيقة مَكرًا به؛ لأنَّه مكَّنَه من مُخالفةِ أمْرِه إلى يومِ القيامةِ، فلم يَزِدْه بذلك التَّمكينِ إلّا شِقوةً؛ ليَعلمَ الكافَّةُ أنَّه ليس كلُّ إجابةٍ للدُّعاءِ نِعمةً ولُطفًا، بل قد تكونُ بلاءً ومَكرًا، فقال: فإنَّك من المؤخَّرينَ المُمهَلينَ، إلى الوقتِ الَّذي يموتُ فيه الخلائقُ، وهو وقتُ النَّفخةِ الأولَى، وإنَّما سُمِّيَ هذا الوقتُ (أي: وقتُ النفخةِ الأولَى) بالوقتِ المعلوم؛ لأنَّ مِنَ المعلوم أنْ يموتَ كلُّ الخلائقِ فيه، وقيلَ: إنَّما سمّاه اللّه تعالَى بهذا الاسم؛ لأنَّ العالمَ بذلك الوقتِ هو اللّه تعالَى لا غير، كما قال تعالَى: ﴿إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: 187]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34][3].

(1) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نظر)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/19.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/68، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/27، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/77.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/68، والقشيري، لطائف الإشارات: 1/522، والبغوي، معالم التنزيل: 3/58، والرازي، مفاتيح الغيب: 19/141.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الاستئناف البياني في الآية:

تشويقُ السّامعين وتنبيهُهم إلى طلبِ إبليس الإنظارَ في عقوبتِه وتأخيرَها

في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤال نشأ ممّا قبله، كأنَّه قيل: فماذا قال اللَّعينُ بعد ما سمع أنَّه مطرودٌ ملعونٌ، فقيل: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾[1]، ففيه تشويقٌ للسّامعينَ إلى معرفةِ قولِ إبليس، وتنبيهٌ لهم إلى أنَّه طلبَ إنظارَ العقوبةِ وتأخيرَها.

سبب التَّعبير بقولِه: ﴿رَبِّ﴾:

الخضوعُ والتَّذلُّلُ لله سببُ إجابة الدعاء

خاطَبَ إبليسُ اللّه تعالى بِصِفَةِ الرُّبوبِيَّةِ، لعلمِه بأنَّ إجابةَ الطلبِ من اللّه تعالى يقتضي الخضوعَ والتَّذلُّلَ له سبحانه.

فائدة الفاء في قولِه: ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾:

اختار إبليس الإمهالَ بعدَ طردِه من رحمة الله، واختار آدمُ الاستغفارَ بعدَ زلَّتِهِ

هذه الفاءُ هي الفصيحةُ، بمعنى: أنَّها تفصحُ عن شرطٍ في الكلامِ، فهي واقعةٌ في جوابِ شرطٍ مقدَّر يدلُّ عليه السّياق، وتقدير الكلامِ: إنْ أخرجتني من دار الكرامةِ، وجعلتني رجيمًا، وطردتني عن الخير، فأنظرني بتأخير موتي، وإنَّما طلب الإنظارَ ليجدَ فسحةً في إغواء بني آدم؛ لأنَّ اللَّعينَ ظنَّ أنَّ خروجَه من الجنَّة بسببِ آدمَ، وليس بسببِ تكبُّرِه وإبائِه واعتراضِه على ربِّ العالمين[2]، ففي الكلام إيجازٌ بحذف أكثر من جملةٍ لقرينة السّياق، وأفادت الفاء ابتناءَ طلبِه على ما حكم اللّه عليه بالخروج واللّعن، كما أفادت أنَّ أوَّلَ طلبٍ له عقبَ الأمرِ بخروجه من رحمة اللّه ولعنِه هو إنظارُه إلى يوم يُبعثُ الخلائقُ، فلم يبادرْ إلى الاستغفار وطلب رحمتِه تعالى كما فعل آدم وزوجُه حينَ أُخرجا من الجنَّة.

دلالة طلبِ الإنظار في قولِه: ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾:

مبالغةُ إبليسَ في طلبِ الإنظار ليحقِّق غايتَه في الإغواء

لمّا كان الإنظار والتأخير لا يكون للذات؛ لأنَّه متعلِّق بالأحوالِ؛

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/76.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/211، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/154.

أفادَ أنَّ المرادَ تأخيرُ بعضِ الأحوالِ التي ترد على ذاتِه، وهو الموت بقرينةِ السّياق، والمعنى: فأنظر موتي، وأخِّره إلى يوم يبعثون، ونكتةُ طلبِ الإنظار للذّاتِ للمبالغة في الطلبِ، فإنَّ تأخير الذّاتِ وإمهالَها تأخيرٌ لأحوالِها كلِّها ليحقِّقَ إغواءَه لبني آدمَ[1].

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾:

طلبُ إبليسَ تأخيرَ موتِه يتضمَّن طلبَ تأخيرِ العقوبةِ وتأجيلِها

عبَّر بالإنظار هنا؛ للإشعار بأنَّ عملَ إبليس وقولَه يستحقُّ بهما معاجلة العقوبة من الله تعالى، وأنَّه كان على علم بهذا؛ لأنَّ الإنظار لا يكون إلّا مع توقُّع المعاجلةِ بما هو غيرُ مرغوبٍ فيه، فيَقولُ المُتَكَلِّمُ لِمَنْ يُعَاجِلُه: أَنْظِرْني أَبْتَلِع رِيقِي، أي: أَمْهِلْنِي[2]، ولهذا كان طلبُ إبليسَ تأخيرَ موتِه يتضمَّن طلبَ تأخيرِ العقوبةِ وتأجيلِها.

مناسبة تحديد الإنظار في الآية:

تنبيهُ بني آدمَ إلى أنَّ إغواءَ إبليسَ لا ينقطعُ إلَى وُجودِ آخِرِ إنسانٍ في الدُّنْيا

لمّا كان يومُ البعث هو يوم النَّفخة الثّانية، التي يقومُ فيها الخلقُ إلى ربِّ العالمين؛ أرادَ إبليسُ اللَّعينُ ألّا يذوقَ الموتَ، فطلبَ أنْ يكونَ إمهالُه إلى يوم يُبعثُ الخلقُ، فالتَّعبير بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾؛ لأنَّ غرض اللَّعين به يتحقَّقُ، فيكون تَمْهيدًا لِما عَقَدَ عَلَيْهِ العَزْمَ مِنْ إغْواءِ الْبَشَرِ، فَأرادَ الْإنْظارَ إلَى آخِرِ مُدَّةِ وُجودِ نَوْعِ الْإنْسانِ في الدُّنْيا[3].

دلالة عود الضَّمير في قوله: ﴿يُبۡعَثُونَ﴾:

إعلامُ إبليسَ بأنَّ آدمَ سيكونُ له ذريَّةٌ

لمّا لم يكن في الكلام ما يعود عليه الضَّمير في قولِه: ﴿يُبۡعَثُونَ﴾، وكان الكلامُ في بيان أنَّ إبليس قصد إغواء بني آدم - كما دلَّ عليه السِّياقُ - أفادَ أنَّ المرادَ من الجمع في قولِه: ﴿يُبۡعَثُونَ﴾ البشرُ المعلومون من تركيبِ خلقِ آدمَ أوَّلًا وبالذّاتِ[4]، فأفادَ الضَّمير الإيجازَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/48.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (نظر).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/77، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/48.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 5/19، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 9/36.

في الكلام، والإشعارَ بأنَّ اللّهَ قد أعلمَ إبليسَ بأنَّ آدمَ سيكونُ له ذريَّةٌ، أو أنَّه لمّا رأى خصوصيَّة آدم عند اللّه في خلقِه وإكرامِه بالأمر بالسُّجودِ له وإعلامِ اللّه تعالى للملائكة أنَّه جاعلٌ في الأرضِ خليفةً؛ علم أنَّه لن يكونَ مخلوقًا وحدَه، وأنَّه سيكون له ذرّيَّةٌ.

سرُّ الإضافة في ﴿يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾:

طلبُ إبليسَ الإنظار؛ لِعزمِه على تزيينِ المعاصي لبني آدم وإغوائِهم أجمعين

لم يقل: ما معناه (لا تُمِتْنِي إلى يومِ البعثِ)، بل أضاف اليوم إلى الفعل المبني للمفعول ﴿يُبۡعَثُونَ﴾؛ للإشعارِ بأنَّه أضمر في نفسِه إغواء بني آدم، فكأنَّه قال: أنظرني؛ لكي أبقى معهم في الدُّنيا، فطلبه لِلإنظار ليس من أجلِ تأخير موتِه فقط، بل قَصَدَ من وراء ذلك ما هو أهمُّ، قَصَدَ تزيينَ المعاصي لبني آدم وإغواءَهم أجمعين.

نكتة مجيء الفعل بصيغة ﴿يُبۡعَثُونَ﴾:

تعظيمُ شأنِ يومِ البعثِ والإيذانُ بخطرِه

كانَ الظّاهرُ أنْ يقولَ إبليسُ: (إلى يومِ تبعثهم)؛ لأنَّه في مقام خطاب اللّه ربِّ العالمين، فعُدِلَ إلى صيغةِ المبني للمفعولِ؛ لتوجيهِ النَّظرِ إلى حدث بعثِ الخلقِ يومَ القيامةِ، وليس إلى إسنادِ البعثِ إلى اللّهِ تعالى؛ للإشعارِ بعظمةِ يومِ البعثِ وهولِه، كما أنَّ الفاعلَ معلومٌ، وإبليسُ مقرٌّ به، فليس في ذكرِه هنا فائدةٌ، ففيه إيجازٌ كذلك.

بلاغة الاستئناف البياني في الآية:

تنبيه السّامعين إلى الإصغاء لما أجابَ الله تعالى به إبليسَ اللَّعين

جاء القول على طريق الاستئناف المبنيِّ على سؤال نشأ ممّا قبله، كأنَّه قيل: فبماذا أجابه اللّه على سؤالِه الإنظارَ إلى يومِ البعث؟ فقيل: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾، لتشويقِ السّامعين إلى المقاولةِ بين اللّه تعالى وإبليسَ، وتنبيههم إلى الإصغاء إليها.

دلالة الجواب بقوله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾:

إنظارُ إبليسَ إملاءٌ له ليزدادَ إثمًا وعقوبةً، ولتظهر حكمةُ الله في الابتلاء به

لمّا كان طلب إبليس الإنظار إلى يوم يُبعَث الخلقُ، وجاء الجواب مقيَّدًا بإنظارِه إلى يوم الوقتِ المعلوم؛ دلَّ على أنَّ إنظارَه إلى ذلك الوقتِ لم يكن إجابةً له على ما يرغبُ، ويتمنَّى، فلم يكن الإنظارُ

كرامةً له، بل هو إمْلاءٌ له ليزدادَ إثمًا، وتزدادَ عقوبتُه، ولتظهر حكمةُ اللّه في ابتلاء بني آدمَ بتزيينِه وإغوائِه[1].

مناسبة الجملة الاسمية في الآية:

طلبُ إبليس الإنظارَ لتأخيرِ الموتِ لا لتأخيرِ العقوبة

لمّا كانت الجملةُ الاسميَّةُ دالَّةً على الثُّبوتِ؛ دلَّ الكلامُ - في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ - على أنَّه إخبارٌ بالإنظارِ المقدَّر للمنظَرين أزلًا، لا إنشاءٌ لإنظار خاصٍّ به إجابةً لدعائِه، فلا خَصوصيَّةَ لإبليسَ في الإنظار، ودلَّ الكلامُ أيضًا على أنَّ استنظارَه كان طَلَبًا لتأخيرِ الموتِ؛ إذ به يتحقَّق كونُه من جملتهم لا لتأخيرِ العُقوبةِ، كما ذهب إليه بعضُ المفسِّرين، وإن كان طلبُ تأخير الموت يتضمَّن طلبَ تأخير العقوبةِ لإبليسَ، والمعنى: أنَّك من جُملةِ الذينَ أُخِّرَتْ آجالُهم أزلًا حسبما تقتضيه الحِكمةُ التكوينيةُ إلى يوم الوقتِ المعلوم، فإنظارك لا كرامةَ لك فيه[2].

دلالة (إنَّ) في قوله: ﴿فَإِنَّكَ﴾:

تأكيدُ كونِ إبليسَ من الطّائفةِ التي أخَّرَ اللهُ تعالى موتَها

تفيد (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ تأكيدَ مضمون الجملة وتقريرها، بمعنى تقريرِ كونِ إبليسَ من الطّائفةِ التي أنظرها اللّه، وأخَّرَ موتَها.

نكتةُ صيغةِ الجمعِ في ﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾:

إنظارُ إبليسَ ليسَ خَصوصيَّةً لهُ، بل هو مِنَ الذينَ تأخَّرتْ أعمارُهمْ

عُبِّر بصيغة الإدخالِ في جمعِ المنظَرين؛ ليكون إبليسُ من جملتِهم ومنتظمًا في سلكِهم، فيكونَ مشمولًا بما سأله الآخرون؛ لِيُؤذنَ بأنَّ السّائلَ تبَعٌ لهم في ذلك، لئلّا يتوهَّم إبليسُ أنَّ إنظارَه خَصوصيَّةٌ له، بل حالُه حالُ الطّائفةِ التي تأخَّرت أعمارُها كثيرًا، حتَّى جاءتْ آجالُها على اختلافِ أوقاتِها، فقد عمَّ تلكَ الفرقةَ إنظارٌ، وإنْ لم يكونوا أحياءً مدَّةَ الدَّهرِ، والمعنى: أنَّه تعالى أخبر

(1) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 9/193.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/217.

بأنَّ إنظارَه هو من جملةِ إنظار مقدَّرٍ أزلًا، لا لإنشاءِ إنظارٍ خاصٍّ به، وقع إجابةً لدعائِه، ولهذا لم يقل له: (فأنا أُنْظِرُكَ)، ومجيء صيغة المبني للمفعول دالٌّ على هذا المعنى، فالفاء لربط الإخبار بالإنظار وبالاستنظار، أي: بطلبِه، لا لربط نفس الإنظار به، وأنَّ استنظاره لتأخير موتِه؛ إذ به يتحقَّقُ كونُه من جملتهم، لا لتأخير عقوبتِه[1]، وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الفاءَ هي الفاءُ الفصيحة الدالَّة على شرطٍ مقدَّرٍ، والتَّقدير: إن طلبت منّي الإنظار؛ فإنَّك من المنظرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم، وهو وقت النفخة الأولى، وليس فيه إجابةٌ لطلبِه؛ لأنَّ قيد الإنظار اختلف كما سيأتي[2].

فائدة صيغة المبني للمفعول في ﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾:

تحقيرُ إبليسَ وإهانتُه من عادةِ القرآنِ عندَ ذكرِه

عُبِّرَ بصيغة المبني للمفعول؛ للإشعار بعدم الاهتمام بإبليسَ، وأنَّ عليه من الصَّغار والتَّحقير ما لا يستحقُّ به أن ينسب اللّٰهُ تعالى لنفسه إنظارَه.

فائدة تقييد الإنظار في الآية:

أنظرَ اللهُ إبليس إلى يومِ النَّفخةِ الأولى لا إلى يومِ يَبعثُ الخلقَ

جاء الجواب مقيَّدًا بغايةٍ زمنيَّةٍ هي ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾؛ للإيذان بأنَّ إنظارَه لم يكن إجابةً إلى ما سأل، وإنَّما كان مجيبًا له إلى ما سأل لو كان قال له: إنَّك من المنظرين إلى الوقتِ الذي سألتَ، أو إلى يوم البعث، أو إلى يومِ يُبعثون، أو ما أشبه ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّه لم يجبْهُ إلى ما سألَ من الإنظار الذي أرادَه، واعتبار إجابةِ الطلب تكون على وفقِ القيد الزَّماني الذي قُيِّد به، فلمّا قيَّد اللّٰه تعالى إنظارَه بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾؛ دلَّ على أنَّ مدَّةَ الإنظار إلى يومِ النَّفخة الأولى، فلا إجابة لإبليس على طلبِه؛ لأنَّه

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/380، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/217، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/292.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/292.

طلب الإنظار إلى يومِ البعث لكي لا يموتَ، وأنظره اللّه تعالى إلى يومِ الوقتِ المعلومِ، فقضى على إبليس أن يموتَ، كما يموتُ الخلقُ[1].

سبب ذكر اليوم والوقت في الآية:

استعمالُ لفظِ الوقتِ للدلالة على الأجلِ

لما كان لفظُ (اليوم) يُستعمل فيما يتمُّ فيه أمرٌ ظاهر؛ أشعر التَّعبير به - في قولِه: ﴿يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ - ظهور موتِ إبليس في هذا اليوم المذكور، ولمّا كان الوقتُ أدلَّ ألفاظ الزمان على الأجلِ؛ قال: ﴿ٱلۡوَقۡتِ﴾، والمراد تأخيرُ أجلِه إلى يومِ موعدِ وقوعِه[2].

دلالة قولِه: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾:

كلُّ مخلوقٍ يموتُ ولو بعدَ حينٍ

لّما أخبر اللّه تعالى أنَّ إنظار إبليس له غايةٌ زمانيَّةٌ ينتهي إليها الإنظار؛ دلَّ على أنَّه غير مطلقٍ، وأنَّه ينتهي بزمنٍ معيَّنٍ، فقيَّدَه بقولِه: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾، ولمّا كان لفظ ﴿ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ مبنيًّا للمفعول، أي: حذف فاعلُه؛ احتمل أن يكون المراد معلومًا عندَ اللّه خاصَّةً، وأنَّه لم يبيِّن له ذلك الوقت، ولم يطلعه عليه، ويؤيِّده ما جاء في قولِه تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨﴾ [الأنفال: 48]، فأخبر إبليسُ أنَّه يرى ما لا يرون هم، وأنَّه يخاف اللّه، ولو كان بيَّن له الوقت المعلوم؛ لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت، كما يُحتمل أن يكون المرادُ معلومًا عندَ اللّه تعالى تعيينًا، وعندَ النّاس إجمالًا، ويكونَ المقصودُ به يومَ النَّفخة الأولى حين يموت جميع الخلائق، فيكون محكومًا عليه بالموتِ معهم[3].

بلاغة التَّعريض في قولِه: ﴿يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾:

العبرة في الخطاب بأهل الإيمان وغيرهم كالعدم

تقدَّم أنَّه يحتمل أن يكون المرادُ بالمعلوم ما اختصَّ اللّه بعلمِه،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/331.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/57.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 6/440.

كما يحتمل أن يكون المرادُ ما علمَه اللّه تعيينًا والنّاسَ إجمالًا، فعلى التَّوجيه الثاني يكون في الكلام تعريضٌ بأنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنوا بِذَلِكَ الْيَوْمِ - أي: يوم البعث - مِنَ النَّاسِ ولم يعلموه علمًا إجماليًّا بسببِ عدمِ إيمانِهم به لا يَعْبَأُ اللّه بِهِمْ، فَهُمْ كالْعَدَمِ[1].

توجيه المتشابه في الآية:

تقدَّم الكلامُ على توجيه المتشابه في آيات سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: 14 - 15]، وآياتِ سورة (ص): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ص: 79] في بيان سبب اقتران الفاء بالفعل في سورتَي الحجر و(ص)، وفي ذكر وصف الرُّبوبيَّة فيهما دون سورة الأعراف، فلينظر عند تفسير قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: 14 - 15].

۞ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنظار والإمهال:

الإنظارُ له وقتٌ محدَّدٌ، والإمهالُ تأخيرٌ لوقتٍ غيرِ معيَّنٍ

تقدَّم في سورة الأعراف عند بيان تفسير قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: 14 - 15] أنَّ الإنظار له وقتٌ محدود مقدَّر، وأمّا الإمهال؛ فهو التأخير المبهم غير المحدَّد بوقتٍ معيَّن مع رفقٍ فيه، فناسب ذكر الإنظار دون الإمهال؛ لِمناسبته شدَّةَ عقوبةِ إبليسَ وتوقيتَ إنظارِه إلى وقتٍ معيَّنٍ محدودٍ[2].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/49.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 202، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (مهل).